كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2]. الآية

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[4] ـ الآية.

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[5]. الآيات

قال ابن مسعود: «مَن أَرَاد أن يَنظُرَ إلى وَصيَّة مُحَمَّد ﷺ التى عَلَيهَا خَاتَمُهُ فَليقرأ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾[6] ـ الآية

كتاب التوحيد

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره.

ولهذا استغنى بها عن الخطبة، أى أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل.

---

(١) سورة الذاريات آية (٥٦).
(٢) سورة النحل آية: (٣٦).
(٣) سورة الإسراء آية: (٢٣).
(٤) سورة النساء آية: (٣٦).
(٥) سورة الأنعام آية: (١٥١).
(٦) الترمذى: ك (٤٦) سورة الأنعام ح (٣٢٨٥) إسناده حسن.

عَن مُعاذ بن جبل رضى الله عنه قال: «كنتُ رديفَ النبى ﷺ على حمار فقال لى: «**يَا مُعَاذ؟ أَتَدرى مَا حَقُّ الله عَلَى العبَاد، ومَا حَقُّ العبَاد عَلَى الله؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «**حَقُّ الله عَلَى العبَاد أَن يَعبدُوهُ وَلاَ يُشرِكُوا به شَيئاً، وحَقُّ العبَاد عَلَى الله أن لاَ يُعَذِّبَ مَن لاَ يُشركُ به شيئا**»، قلت: أَفَلاَ أُبَشِّرُ الناسَ؟ قال: «**لاَ تُبَشِّرهُم فَيَتَّكِلُوا**»[1] أخرجاه فى الصحيحين.

فيه مسائل

الأولى: الحكمة فى خلق الجنِّ والإنسِ.

اعلم أن التوحيد المطلق العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بصفات العظمة والجلال. وإفراده وحده بالعبادة.

وهو ثلاثة أقسام

أحدها: توحيد الأسماء والصفات.

وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التى لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك

---

(١) البخارى: ك (٥٦) ب (٤٦) ح (٢٨٥٦) وأطرافه (٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣)
مسلم: ك (١) ب (١٠) ح (٣٠).
أبو داود: ك (٩) ب (٥٣) ح (٢٢٥٩) حسن لغيره مختصراً.
الترمذى: ك (٤٠) ب (١٨) ح (٢٨٠١) حسن لغيره.
النسائى فى الكبرى: ك (٥٠) ب (٢٦) ح (٥٨٧٧) حسن لغيره، ك (٨١) ب (٥٢) ح (١٠٠١٤) صحيح.
ابن ماجه: ك (٣٧) ب (٣٥) ح (٤٢٩٦) حسن لغيره.
أحمد: (٥/ ٢٢٨) رقم: (٢٢٠٥٢) حسن لغيره، (٢٢٠٥٤) صحيح لغيره، (٢٢٠٥٥) حسن لغيره، (٢٢٠٥٦) صحيح.
(٥/ ٢٣٠) رقم: (٢٢٠٦٥) صحيح، (٢٢٠٦٧) حسن لغيره (٥/ ٢٣٤) رقم: (٢٢١٠٠) صحيح لغيره، (٢٢١٠١) حسن لغيره ٥(/ ٢٣٦) رقم: (٢٢١١٩) صحيح لغيره.

الثانية: أن العبادة هى التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن مَن لم يأتِ به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿ **وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾[1].

الرابعة: الحكمة فى إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عَمَّت كُلَّ أمةٍ.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى قوله: ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾[2]. الآية.

الثامنة: أن الطاغوت عام فى كل ما عُبِدَ مِن دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل:

أولاها: النهى عن الشرك.

والعاشرة: الآيات المحكمات فى سورة الإسراء.

وفيها ثمانية عشر مسألة بدأها الله بقوله:

﴿ **ولا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا**﴾[3]. وختمها

بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة فى الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشىء منها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل.

ونفى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافى كماله.

(١) سورة الكافرون آية: (٣، ٥).
(٢) سورة البقرة آية: (٢٥٦).
(٣) سورة الإسراء آية: (٢٢).

بقوله:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[٢].

ونَبَّهنا اللهُ سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾.

الحادية عشرة: آية من سورة النساء تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

الثانية عشرة: التنبيه على وصيّة رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حَقِّ الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أَدَّى حَقَّه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمانِ العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يَسُرّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عَمَّا لا يعلم: **(الله ورسوله أعلم)**.

الثانى: توحيد الربوبية

بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذى ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين.

---

(١) سورة الإسراء آية: (٣٩).

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[1] ـ الآية.

الثالث: توحيد الإلهية ـ ويقال له توحيد العبادة

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما، لأن الألوهية التى هى صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد.

فذكر المصنف فى هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية، وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصا محمد ﷺ وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة

---

(١) سورة الأنعام آية: (٨٢).

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن شَهِدَ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبدهُ وَرَسُولُه وَأَنَّ عيسَى عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلقَاهَا إِلَى مَريَمَ وَروح منهُ وَالجَنَّة حَقٌ والنَّارَ حَقٌ: أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»[1] أخرجاه. ولهما فى حديث عتبان: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ يَبتَغِى بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**»[2].

وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبد. وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما ذكر فى الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكر هنا فضله وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شىء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

فقول المؤلف رحمه الله (**وما يكفر من الذنوب**) من باب عطف الخاص على العام، فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك فى الترجمة.

---

(١) البخارى: ك (٦٠) ب (٤٧) ح (٣٤٣٥).
مسلم: ك (١) ب (١٠) ح (٢٨).
النسائى فى الكبرى: ك (٨١) ب (٢٦٩) ح (١٠٩٦٩، ١٠٩٧٠) صحيحان، ك (٨٢ ب ١١٠) ح (١١١٣٢) صحيح.
أحمد: (٥/ ٣١٤ رقم: ٢٢٧٤١، ٢٢٧٤٢) صحيحان.
(٢) البخارى: ك (٨) ب (٤٦) ح (٤٢٥).
مسلم: ك (١) ب (١٠) ح (٣٣).
أحمد: (٤/ ٤٣ ـ ٤٤ رقم: ١٦٤٨٧) حسن لغيره بدون ذكر عمر فى المتن (رقم ٦٤٨٨) صحيح، (٥/ ٤٤٩ رقم: ٢٣٨٣٢، ٢٣٨٣٣) صحيحان.

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ مُوسَى يَا رَبِّ عَلِّمنى شَيئاً أَذكُرُكَ وَأَدعُوكَ به. قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى لا إِلَهَ إِلاَّ الله. قَالَ يَا رَبِّ: كُلُّ عِبَادكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا موسَى لَو أَنَّ السَّمَوَات السَّبعَ وَعَامِرُهُنَّ - غَيرِى - وَالأَرَضِينَ السَّبعَ فِى كفَّةٍ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فِى كفَّةٍ: مَالَت بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله**»[1] رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

ومن فضائله أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود فى النار. إذا كان فى القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

وأنه إذا كمل فى القلب يمنع دخول النار بالكلية. ومنها أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام فى الدنيا والآخرة.

ومنها أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه.

---

(١) ابن حبان: ك (٥٨) ب (١) ح (٦١٨٥) ضعيف ولجزئه الأخير شاهد.
الحاكم: (١/ ٥٢٨/ رقم: ١٩٣٦) ضعيف ولجزئه الأخير شاهد..
ورواه بنفس السند النسائى فى الكبرى ح (١٠٦٧٠، ١٠٩٨٠) وابن عبد البر فى التمهيد (٦/ ٥٣) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٢٧).
وشاهده عند أحمد (٢/ ١٧٠/ رقم: ٦٥٩١) صحيح والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩/ ١٥٤) صحيح واللفظ لأحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ نبىَّ الله نُوحاً ﷺ لَمَّا حضرتْهُ الوفاةُ قال لابنه: إنِّى قاصٌّ عليك الوصية: آمرُك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين آمُرُكَ بـ (لا إله إلا الله)، فإن السموات السَّبع والأرضين السبعَ، لو وُضعتْ فى كفَّة ووضعتْ (لا إله إلا الله) فى كفَّه. رَجَحَتْ بهنَّ (لا إله إلا الله)، ولو أن السموات السبعَ، والأرضين السبعَ، كنَّ حَلْقةً مُبهمة قصمتْهُنَّ (لا إله إلا الله) و(سبحان الله وبحمده)، فإنها صلاةُ كلِّ شىء، وبها يُرزق الخَلْقُ، وأنهاكَ عن الشِّرك والكِبْر)، . . . . قيل: يا رسول الله، فما الكبر؟ قال: «سفهُ الحقِّ وغَمْصُ الناسِ).

وللترمذى ـ وحسنه ـ عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يَا ابنَ آدَمَ. لَو أَتَيتَنِى بترابِ الأَرضِ خَطَايَا ثمَّ لَقيتَنِى لاَ تُشرِكُ بِى شَيئاً لأَتَيتُكَ بِقرابِهَا مَغفِرَةً**» (١).

ومن أعظم فضائله أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة فى قبولها وفى كمالها وفى ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ومن فضائله أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله فى إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصى لما يخشى من سخطه وعقابه.

ومنها أن التوحيد إذا كمل فى القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه فى قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين.

ومنها أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم وهذا هو العز الحقيقى والشرف العالى.

ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التى لا يلحقه فيها شىء أن التوحيد إذا تم وكمل فى القلب وتحقق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرا، وتضاعف

---

(١) الترمذى: ك (٤٧) ب (١٠٦) ح (٣٧٩١) حسن لغيره.

فيه مسائل

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التى فى سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيَّن لك معنى قول «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ» وتبيَّن لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً ممن يقولها

أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص فى ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض. وعمارها من جميع خلق الله كما فى حديث أبى سعيد المذكور فى الترجمة وفى حديث البطاقة التى فيها لا إله إلا الله التى وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر. وذلك لكمال إخلاص قائلها. وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ؛، لأنه لم يكن فى قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا وقريب مما قام بقلب هذا العبد.

ومن فضائل التوحيد أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر فى الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد فى الأقوال والأفعال.

يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أن لهن عماراً.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث عتبان «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَبتَغِى بِذَلِكَ وَجهَ اللهِ**» أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله «**عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

ومنها أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة والله أعلم.

obeikandl.com

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١). وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكبَ الذى انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت أما أنى لم أكن فى صلاة: ولكنى لدغت. قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟قلت: حديث حدثناه الشعبى، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «**لاَ رُقيَةَ إِلاَّ من عَينٍ أَو حُمَةٍ**» قال أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: «**عرضَت عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهطُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذ رُفِعَ لِى سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنتُ أَنَّهُم أُمَّتِى: فَقِيلَ لِى هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ فَنَظَرتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِى: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُم سَبعُونَ أَلفاً يَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ**» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك،

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذى قبله وتابع له.

فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصى وذلك بكمال الإخلاص لله فى الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر ـ المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافى لكماله، وبالسلامة من البدع. والمعاصى التى

---

(١) سورة النحل آية: (١٢٠).
(٢) سورة المؤمنون آية: (٥٩).

فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام لم يشركوا بالله شيئا. وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: «**هُمُ الذينَ لاَ يَسترقُونَ وَلاَ يَكتَوُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ. وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم. فَقَالَ أَنتَ منهُم. ثم قام رجل آخر فقال: أُدعُ اللهَ أَن يَجعَلَنِى مِنهُم. فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةَ**»(١).

فيه مسائل

الأولى: معرفة مراتب الناس فى التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

تكدر التوحيد وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره، فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شىء من المعاصى، هذا الذى يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

---

(١) البخارى: ك (٦٠) ب (٣١) ح (٣٤١٠) وأطرافه (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١).
مسلم: ك (١) ب (٩٤) ح (٢٢٠).
الترمذى: ك (٣٧) ب (١٤) ح (٢٥٧٣) صحيح.
النسائى الكبرى: ك (٧٠) ب (٦٧) ح (٧٦٠٤) صحيح.
أحمد: (١/ ٢٧١/ رقم: ٢٤٥٢) صحيح، (٣٢١/ رقم: ٢٩٥٨) صحيح مختصراً.

obeikandi.com

السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتى وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة.

السادسة عشرة: الرخصة فى الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله «أنت منهم» علم من أعلام النبوة.

ومن أخص ما يدل فى تحقيقه كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين فى شأن من شؤونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصودا بها وجه الله متبعا فيها رسول الله.

والناس فى هذا المقام العظيم درجات: ﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾ وليس تحقيق التوحيد بالتمنى ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلى العاطلة، وإنما

obeikandi.com

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

ذلك بما وقر فى القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدقته الاخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها فى الباب السابق بأكملها والله أعلم.

obeikandl.com

(باب الخوف من الشرك)

وقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[1].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾[2].

وفى الحديث: «**أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِّركَ الأَصغَرَ**» فسئل عنه؟ فقال: «**الرِّيَاء**»[3].

وعن أبى مسعود رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو مِن دُونِ اللهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ**»[4]. رواه البخارى.

(باب الخوف من الشرك)

الشرك فى توحيد الإلهية والعبادة ينافى التوحيد كل المنافاة وهو نوعان: شرك أكبر جلىّ، وشرك أصغر خفىّ.

فَأمَّا الشِّركُ الأَكبَر:

فهو أن يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه أو يرجوه أو يحبه كحب

---

(١) سورة النساء آية: (١١٦). (٢) سورة إبراهيم آية: (٣٥).

(٣) أحمد: (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩/ رقم: ٢٣٦٩٤) حسن لغيره، ح (٢٣٦٩٥) صحيح لغيره (٢٣٦٩٩) صحيح لغيره.

(٤) البخارى: ك (٦٥) ب (٢٢) ح (٤٤٩٧).

أحمد: (١/ ٣٧٤/ رقم: ٣٥٥١)، (٤٦٢/ رقم: ٤٤٠٥)، (٤٦٤/ رقم: ٤٤٢٤) صحاح وهى بلفظ جعل بدل يدعو التى فى رواية البخارى.

ورواه البخارى أيضا (١٢٣٨) ومسلم (٩٢) والنسائى الكبرى (١١٠١١) وأحمد بلفظ مقارب والحديث عن ابن مسعود وليس أبى مسعود كما أنه ليس فى البخارى عن أبى مسعود البدرى ذلك الحديث راجع تحفة الأشراف (٧/ ٣٢٥ ـ ٣٤٢) وطبعة السلفية صـ ٢٤ ففيها عن ابن مسعود.

ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لَقِىَ اللهَ لاَ يُشرِكُ بِهِ شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ. وَمَن لَقِيَه يُشرِكُ بِهِ شَيئاً دَخَلَ النَّارَ**»(١).

فيه مسائل

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منها على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما فى حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الله، أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شىء، وهذا المشرك الذى حرم الله عليه الجنة ومأواه النار.

ولا فرق فى هذا بين أن يسمى تلك العبادة التى صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلا، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وَأَمَّا الشِّركُ الأَصغَرُ:

فهو جميع الأقوال والأفعال التى يتوسل بها إلى الشرك كالغلو فى المخلوق

---

(١) مسلم: ك (١) ب (٤٠) ح (٩٣).
أحمد: (٣/ ٣٢٥/ رقم: ١٤٥٠١)، (٣٤٥/ رقم ١٤٧٢٣)، (٣٧٤/ رقم: ١٥٠٢٦) صحاح لغيرهم، (٣٩١/ رقم: ١٥٢٠٨، ١٥٢١٨) حسنان لغيرهما.

obeikandi.com

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿**رب إنهن أضللن كثيرا من الناس**﴾.

العاشرة: فيه تفسير (لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله) كما ذكره البخارى.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

الذى لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك ينافى التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى فى الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد فى تنمية الإخلاص فى قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألها وإنابة وخوفا ورجاء وطمعا وقصدا لمرضاته وثوابه فى كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه.

(باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[1].

عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأتِي قَوماً مِن أهل الكِتَابِ. فَليَكن أَوَّلَ مَا تَدعُوهُم إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ**».

وفى رواية: «**إِلَى أَن يوَحِّدُوا اللهَ ـ فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لذَلكَ فَأَعلمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَات فِى كُلِّ يوم ولَيلَة. فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لذَلكَ فَأَعلمهم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ من أَغنيائهم فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائهم. فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لذَلكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائمَ أَموَالِهِم. وَاتَّقِ دعوَةَ المَظلُومَ. فَإِنَّهُ لَيسَ بينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ**» أخرجاه[2].

(باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

وهذا الترتيب الذى صنعه المؤلف فى هذه الأبواب فى غاية المناسبة فإنه ذكر فى الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقق به ظاهرا وباطنا، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه.

ثم ذكر فى هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة (أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ) فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى فى تكميل غيره ـ وهذا هو

---

(١) سورة يوسف آية: (١٠٨).

(٢) البخارى: ك (٢٤) ب (٦٣) ح (١٤٩٦) وأطرافه (٢٤٤٨، ٤٣٤١، ٤٣٤٢، ٤٣٤٥).
مسلم: ك (١) ب (٧) ح (١٩).
أبو داود: ك (٣) ب (٤) ح (١٥٨٤) صحيح.
الترمذى: ك (٧) ب (٦) ح (٦٢١) صحيح.
النسائى: ك(٢٣)ب(١)ح(٢٤٣٦)صحيح، ابن ماجه: ك (٨) ب (١) ح (١٧٨٣) صحيح، أحمد: (١/ ٢٣٣/ رقم: ٢٠٧٦) صحيح، الدارمى: ك (٣) ب (١) ح (١٦١٤) صحيح.

ولهما عن سهل بن سعد رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعطينَّ الرَّايَةَ غداً رَجُلاً يُحبُّ اللهَ ورَسُولَهُ. ويُحبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ. يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيه**» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم. أَيُّهُم يُعطَاهَا. فَلَمَّا أَصبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: «**أَينَ عَلِيُّ بنُ أَبِى طَالب؟**» فقيل: هو يشتكى عينيه. فأرسلوا إليه فأتى به فبصق فى عينيه ودعا له..

فَبَرئَ كَأَن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية: فقال: «**انفَذْ عَلَى رِسلِكَ، حَتَّى تَنزلَ بِسَاحَتِهم، ثمَّ ادعُهُم إِلَى الإِسلاَمِ. وَأَخبرهم بِمَا يَجب عَلَيهِم من حَقِّ اللهِ تَعَالَى فيه فَوَاللهِ لأَن يَهدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِن حُمرِ النَّعَمِ**»[1] يدوكون: أى يخوضون.

فيه مسائل

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأَن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

طريق جميع الأنبياء ـ فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهى طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ـ لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها ـ وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شىء لأن جميع الأعمال متوقفة فى صحتها وقبولها على التوحيد.

---

(١) البخارى: ك (٥٦) ب (١٠٢) ح (٢٩٤٢) وأطرافه (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠).
مسلم: ك (٤٤) ب (٤) ح (٢٤٠٦)، أحمد: (٥/ ٣٣٣/ رقم: ٢٢٨٨٧) صحيح.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: وهى من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى (أَن يُوَحِّدُوا الله) معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأَهمّ فَالأَهمِّ.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهى عن كرائم الأموال.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتى هى أحسن - وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضا على كل أحد. كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والارشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم.

وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين. وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله «**لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ**» إلخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله فى عينيه علَم من أعلامها أيضاً.

الحادية والعشرون: فضيلة علىٍّ رضى الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة فى دَوكِهِم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعها عمَّن سعَى.

الرابعة والعشرون: الأدب فى قوله «**عَلَى رِسلَكَ**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله «**أَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ**».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله فى الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

قال تعالى ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة ـ وإنما الهلاك فى ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين.

(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

وقول الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[1] الآية.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[2] الآية.

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[3] الآية.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[4] الآية.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قَالَ لاَ إِلَهَ اللهَ وَكَفَرَ بِمَا يَعبُدُ مِن دُونِ اللهِ حرمَ مَا لُهَ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[5].

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين.

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف رحمه الله.

وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والأعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلى أمرين: نفى الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك

(١) سورة الإسراء آية: (٥٧). (٢) سورة الزخرف آية: (٢٦، ٢٧).
(٣) سورة التوبة آية: (٣١). (٤) سورة البقرة آية: (١٦٥).
(٥) مسلم: ك (١) ب (٩) ح (٢٣) أحمد: (٣/ ٤٧٢/ رقم: ١٥٨٨١، ١٥٨٨٤)، (٦/ ٣٩٤/ رقم: ٢٧٢٨) صحاح.

فيه أكبر المسائل وأهمها ـ

وهى تفسير التوحيد ـ وتفسير الشهادة وبينهما بأمور واضحة ـ

منها آية الإسراء. بَيَّن فيها الردَّ على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

ومنها آية براءَة بَيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لادعاءهم إياهم.

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ فاستثنى من المعبودين ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[1].

مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق فى ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثانى: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعانى الألوهية كلها وهى نعوت الكمال كلها، ولا يكفى هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصداً بذلك وجه الله وطالبا رضوانه وثوابه.

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافى معنى لا إله إلا الله أشد المنافاة.

وبين المصنف رحمه الله أن من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله قوله ﷺ «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ما له ودمه وحسابه على الله**» فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها،

---

(١) سورة الزخرف آية: ٢٨.

ومنها آية البقرة فى الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[1] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يدخلهم فى الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله.

ومنها قوله ﷺ: «**مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلا اللهَ وَكَفَرَ بِمَا يَعبُدُ مِن دُونِ اللهِ حرمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**».

وهذا من أعظم ما يبين معنى ـ لا إِلَهَ إلا الله ـ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحدَه لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شكَّ أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبين بذلك أنه لابد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادا ونطقا، ولابد من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقيادا، ولابد من البراءة مما ينافى ذلك عقدا وقولا وفعلا.

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغنى فى هذا المقام الألفاظ المجردة ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لابد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: (١٦٧).

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقوله الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ﴾[1] الآية.

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى رجلاً فى يده حلقة من صفر فقال: « مَا هَذه» قال: منَ الواهنَة. فقالَ: «**أنزعهَا فَإنَّهَا لا تَزِيدُكَ إلاَّ وَهناً. فَإنَّكَ لَومُتٍّ وَهِيَ عَلَيكَ مَا أَفلَحتَ أَبَداً**»[2] رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعا: «**مَن تَعلَّقَ تَمِيمَةً فَلا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَن تَعلَّقَ وَدَعَةً فَلا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»[3].

وفى رواية: «**مَن تَعلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أَشرَكَ**»[4].

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب.

وتفصيل القول فيها أنه يجب على العبد أن يعرف فى الأسباب ثلاثة أمور:

أَحَدُهَا: أن لا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدراً.

---

(١) سورة الزمر آية: (٣٨).

(٢) ابن ماجه: ك (٣١) ب (٣٩) ح (٣٥٣١) ضعيف. أحمد: (٤/ ٤٤٥/ رقم: ٢٠٠٢٢) ضعيف.

(٣) أحمد: ٤/ ١٥٤/ رقم: ١٧٤١٤) ضعيف.

(٤) أحمد: (٤/ ١٥٦/ رقم: ١٧٤٣٢) إسناده حسن.

ولابن أبى حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً فى يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1].

فيه مسائل

الأولى: التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر، لقوله «**لا تَزِيدُكَ إلا وَهناً**».

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

ثَانيهَا: أن لا يعتمد العبد عليها بل يعتمد على مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها.

ثَالثُهَا: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لَا خروج لها عنه: والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء. إن شاء أبقى سببتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد فى نظره وعمله بجميع الأسباب إذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك، لأنه إن اعتقد أنها هى الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر.

---

(١) سورة يوسف آية: (١٠٦).

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الاصغر، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له. أى ترك الله له.

وهو شرك فى الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله فى الخلق والتدبير.

وشرك فى العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعا ورجاء لنفعه. وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببا شرعيا ولا قدريا سببا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهى وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة.

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التى يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التى شرعها على لسان نبيه التى يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التى قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضا نقص فى العقل حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد فى الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس. المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم.

(باب ما جاء فى الرقى والتمائم)

فى الصحيح: عن أبى بشير الأنصارى رضى الله عنه. أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، فَأَرسَلَ رَسُولاً «**أَن لا يَبقَيَنَّ فِى رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِن وَتَرٍ أَو قِلادَةٍ إلا قُطِعَت**»(١).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائمَ وَالتِولةُ شِركٌ**»(٢) رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً. «**مَن تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيهِ**»(٣) رواه أحمد والترمذى.

(باب ما جاء فى الرقى والتمائم)

أما التمائم فهى تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول فى الحلقة والخيط كما تقدم.

فمنها ما هو شرك أكبر، كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك كما سيأتى إن شاء الله.

---

(١) البخارى: ك (٥٦) ب (١٣٩) ح (٣٠٠٥). مسلم: ك (٣٧) ب (٢٨) ح (٢١١٥). أبو داود: ك (٩) ب (٤٩) ح (٢٥٥٢) صحيح النسائى الكبرى: ك (٧٨) ب (١٣٦) ح (٨٨٠٨) صحيح أحمد: (٥/٢١٦/ رقم: ٢١٩٤٦) صحيح الموطأ: ك (٤٩) ب (١٣) ح (٣٩) صحيح.

(٢) أبو داود: ك (٢٢) ب (١٧) ح (٣٨٨٣) حسن لغيره والقصة ضعيفة ابن ماجه: ك (٣١) ب (٣٩) ح (٣٥٣٠) حسن لغير والقصة ضعيفة أحمد: (١/ ٣٨١/ رقم: ٣٦١٤) صحيح.

(٣) الترمذى: ك (٢٨) ب (٢٣) ح (٢١٦٢) حسن لغيره أحمد: (٤/ ٣١٠/ رقم: ١٨٨٠٦) حسن لغيره.

التمائم شيء يعلق على الأولاد يتقون به عن العين. ولكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف[1]، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود رضى الله عنه. «والرقى» هى التى تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و «التولة» هى شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبِّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رويفع قال: قال لى رسول الله ﷺ: **«يَا رُوَيفِع لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطولُ بِكَ فَأَخبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَن عَقَدَ لِحيَتَهُ أَو تَقَلَّدَ وَتَراً أَو**

ومنها ما هو محرم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها لأنها تجر إلى الشرك.

وأما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة. أما الرقى ففيها تفصيل:

فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة فى حق الراقى، لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهى جائزة فى حق المرقى إلا أنه لا

---

(١) من الذين قالوا بالتعليق عبد الله بن عمرو بن العاص إلا أنه لا يصح عنه ففى السند محمد بن إسحاق وقد عنعن ونصه عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فزع أحدكم فى النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره**» «فكان عبد الله بن عمرو يلقنها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه» اهـ لفظ الترمذى أبو داود: ك (٢٢) ب (١٩) ح (٣٨٩٣) حسن لغيره وما بين القوسين ضعيف الترمذى: ك (٤٧) ب (٩٦) ح (٣٧٨٣) حسن لغيره وما بين القوسين ضعيف أحمد: (٢/ ١٨١/ رقم: ٦٧٠٥) حسن لغيره وما بين القوسين ضعيف الحاكم: (١/ ٥٤٨/ رقم: ٢٠١٠) حسن لغيره وما بين القوسين ضعيف ابن السنى (ص٢١٢ رقم: ٧٤٦) حسن لغيره وما بين القوسين ضعيف.

استنجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أو عَظمٍ فَإنَّ مُحَمداً بَرِيء منهُ»[1].

وعن سعيد بن جبير قال: «مَن قَطَع تَمِيمَةً مِن إنسَانٍ كَانَ كَعدلِ رَقَبَةٍ» رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال:

كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التَّوْلَة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن، فقد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا؟

ينبغى له أن يبتدئ بطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدا من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغى إذا سأل أحداً أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعى والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التى لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكمل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

---

(١) أبو داود: ك (١) ب (٢٠) ح (٣٦) إسناده صحيح. النسائى: ك (٤٨) ب (١٢) ح (٥٠٧٠) إسناده صحيح. أحمد: (٤/١٠٨ ـ ١٠٩/ رقم:١٦٩٩٨ إسناده حسن لغيره، ١٧٠٠٢ إسناده صحيح.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من علق وتراً.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

فأفهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفارقها فى أسبابها وغاياتها.

obeikandl.com